المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى

المسجد الأقصى المبارك
القدس الشريف

بمناسبة تجديد القسم الشرقي والرواق الأوسط منه

١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

بقلم
عبد الفتاح ملحس
مدير إدارة حفظ الآثار العربية بمصر

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحة تاريخية

المسجد الأقصى مكانة ممتازة ومنزلة رفيعة في نفوس المسلمين فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين وإليه يمت الوجوه في فجر الاسلام وإليه سرى من المسجد الحرام سيد المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » . والمقصود بالمسجد الأقصى في هذه الآية الكريمة هو تلك البقعة المباركة المحاطة بالأسوار والمعروفة بالحرم القدسي الشريف وقد كرّم الله سبحانه وتعالى هذا المكان بتلك الآية الكريمة وأشاد النبي بذكره في قوله : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . وهو من أجل ذلك كان وما زال محط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وموضع رعاية ملوكهم وامرائهم في مختلف العصور والأزمان .

عندما قدم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس وزار مكان الحرم الشريف وشيد به مسجداً لم يعرف موضعه على وجه التحديد إنما يرجح أنه أقيم مكان المسجد الأقصى الحالي أي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم .

ويقول بعض المؤرخين إن الذي انشأ المسجد الأقصى هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ — ٩٢ م) كما يقول البعض الاخر إن الذي انشأه هو الوليد بن عبد الملك . ويؤيد رأي هذا الفريق ما ورد ببعض تحريرات على ورق البردى أرسلها قرة بن شريك عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد سنة ٩٠ — ٩٦ هـ (٧٠٩ — ١٤ م) يطلب فيها من أحد حكام الصعيد صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

وسواء كان المنشىء له عبد الملك أو الوليد فانه لم تصل إلينا أي تفصيلات عما كان عليه المسجد الأقصى في القرن الاول الهجري إذ حدثت في سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧—٤٨ م) هزة أرضية أدت إلى سقوط الجانبين الشرقي والغربي للمسجد فلما كانت سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) أمر أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين بتجديد ما تصدع منه وسقط .

وما لبث أن حدث زلزال آخر تسبب عنه تهدم المسجد مرة اخرى فقام المهـدي ثالث الخلفاء العباسيين في سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٨٠ م) باعادة بنائه وأنقص من طوله وزاد في عرضه .

ولم ينبئنا المؤرخون عما كان عليه تخطيط المسجد الأقصى في مراحله الاولى إلى أن جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري ووصف في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تخطيط المسجد أيام المهدي ويؤخذ من هـذا الوصف أنه كان يتكون من رواق أوسط كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب يغطيه جملون وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة تقع أعلى مقدمة المحراب . وتكتنف الرواق الاوسط من كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له وأقل ارتفاعاً منه محمولة عقودها جميعاً عـلى أعمدة اسطوانية ، ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى باب النحاس الأعظم يؤدي إلى الرواق الاوسط رأساً وعلى كل من يمينه ويساره سبعة أبواب يؤدي كل منها إلى رواق من الأروقة الجانبية سالفة الذكر .

وفي سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) حدث زلزال ثالث أدى إلى تهدم مسجد المهدي فقام الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله باعادة بنائه

سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ — ٣٥ م) ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف اربعة اروقة من كل جانب فأصبح يكتنف الرواق الاوسط الكبير ثلاثة أروقة فقط من كل من الجانبين وتحوي الفسيفساء المذهبة التي تحلي الواجهة الشمالية للعقد الحامل للقبة كتابة بالخط الكوفي تشير الى هذا التجديد وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . أمر بتجديد عمارته مولانا علي أبي الحسن الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين على يد أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن أثابه الله .

وفي سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) أمر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بتجديد الواجهة الشمالية وسجل هذا التجديد في كتابة كوفية حفرت بالحجر بأعلى الواجهة الشمالية للرواق الاوسط وقد احتفظنا بها في موضعها عند تجديد هذه الواجهة وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب أمر بعمل هذا الوجه مولانا وسيدنا معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه

وعلى سلفه وخلفه في نظر الامير الأجل الاعز علم الملك نصر الدولة ذي الفضيلتين وجرى ذلك على يد الفاضل أبي الحسين عبد الرحمن بن الحسن بن علي الانصاري المعروف بالاجوف سنة ثمان وخمسين واربعمائة.

وقد ظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التي تمت في السنين الاخيرة مثلا فيما يعلو العقود التي تحمل القبة والفسيفساء المذهبة التي أشرنا اليها والتي ما زالت موجودة الى الان والرواق الأوسط بأعمدته وما يعلوها وبعض أعمدة وعقود القسم الشرقي. والمرجح أن مساحة المسجد من الداخل أيام الظاهر هي نفس مساحته الحالية أي ٦٩ متراً طولا و٥٢ متراً عرضاً تقريباً.

وعندما استولى الصليبيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) اتخذوا المسجد الأقصى مكاناً لسكنى ملكهم بعد أن أعادوا بناء الرواقين الشرقيين ونظيريهما الغربيين على نظام القبوات المصلبة المحمولة عقودها على أكتاف مربعة القطاع مخالفين بذلك التخطيط الأصلي أيام العباسيين والفاطميين. وبقي المسجد على هذا الوضع من حيث التخطيط إلى ما قبل التجديد الاخير.

ولما أعاد صلاح الدين الأيوبي فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ

(١١٧٨ م) أمر باصلاح المسجد الأقصى وتجديد محرابه وكتب أعلاه بالفسيفساء المذهبة ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة » . كما نقل اليه المنبر الخشبي الجميل الذى أمر بصنعه بحلب الملك نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ — ٦٩ م) خصيصاً للمسجد الأقصى وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها صناعة وتتضمن الكتابات المحفورة عليه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير الى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ركن الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القسم محمود بن زنكي بن آن سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله انصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه وأعز اولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقر بالنصر والزلفا عيناه برحمتك يا رب العالمين وذلك في شهور سنة اربع

وستين وخمسمائة » .

وفي سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧—١٨ م) أمر الملك المعظم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل الأيوبي بانشاء الرواق الذى يكوّن الواجهة الشمالية الحالية للمسجد وهو يشتمل على سبع فتحات معقودة اكبرها اوسطها ويقابل كل منها باب من ابواب المسجد وهـذا الرواق يغطيه سبع قبوات مصلبة وقد ثبت أعلى الفتحة الوسطى لوحـة رخامية مكتوب بها : « أنشأ هذه الاروقة الشمالية الملك المعظم ابو العزائم عيسى بن الملك العادل سنة ٦١٤ هـ »

وتوالت بعد ذلك اعمال التعمير والاصـلاح بالمسجد الاقصى في عهد كـثير من سلاطين المماليك والعثمانيين كان أهمها ما قام به الناصر محمد بن قلاوون من تجديد القبة وكـتب بدائرها ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج والمتمردين محي العدل في العالمين سلطان الاسلام والمسلمين ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهير الملك المنصور قلاوون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » كما جددت الـكسوة

الرخامية لوزرة جدار المحراب والشبابيك الجصية الملأى بالزجاج الملون التي تعلو هذه الوزرة .

هـذا وقد قام من بعده أولاده السلطان شعبان والسلطان حسن بتجديد ابواب المسجد وإصلاحات اخرى شملت نواحي مختلفة منه كما قام أيضاً السلطان قايتباي والسلطان الغورى باصلاحات اخرى اثبت تاريخ تنفيذها جميعاً على لوحات رخامية ثبتت بأعلى الواجهة الشمالية .

تلك لمحة تاريخية عن أهم الأطوار التي مر بها المسجد الأقصى المبارك إلى ان كانت سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) حيث ظهر خلل خطير بالقبة أدى إلى أن استصرخ المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس العالم الاسلامي للمساهمة في نفقات إزالة الخطر وتعمير المسجد فلبى المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها الداء واقبلوا على التبرع فجمع في ذلك الوقت نيف وثمانون الف جنيه صرفت في تدعيم القبة وتجديد عقودها واعمدتها وتمت هذه الاصلاحات سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) .

اصلاح المسجد

الخلل الذي حدث بالمسجد أخيراً وأسبابه

عندما شعر المجلس الاسلامي الأعلى في أوائل سنة ١٩٣٨ أن خطراً جسيماً يهدد كيان المسجد الأقصى بادر إلى الاتصال بادارة حفظ الآثار العربية بمصر وكان على رأسها المرحوم محمود أحمد باشا الذي ندب من فوره كلاً من الاستاذ محمد نافع وكيل الادارة السابق والأستاذ محمد عبد الفتاح حلمي مفتش هندسة الآثار العربية إذ ذاك ومدير الآثار العربية حالاً للسفر إلى القدس لمعاينة المسجد وتقرير ما يلزم له من علاج فقاما بفحص مباني المسجد من جميع نواحيه من الداخل والخارج وظهر لهما أن التصدع الذى حدث يتركز بحالة خطيرة في موضعين — اولهما بالقسم الشرقي — وثانيهما — بالرواق الاوسط الكبير — أما فيما عدا ذلك فحالة المباني لا تدعو إلى القلق فهي حافظة لكيانها ولو أن بجهات متفرقة منها بعض شروخ وميول بسيطة لا أهمية لها . لذلك اتجه البحث إلى الموضعين الخطيرين آنفي الذكر .

في القسم الشرقي ظهر أن القبوات المصلبة التي تغطي رواقيه الشرقيين تحمل أتربة بارتفاع يقرب من المترين تعلوها ألواح من الرصاص . وأن الذى حدث بهذا القسم عبارة عن انفصالات في صنج العقود تبعها تفكك وشروخ في مباني المصلبات نفسها ثم ميل وتكسر مخيفان في أحد الأعمدة الحاملة لصف العقود الثالث من الشرق وكذلك تفكك في المباني بحالة خطيرة عند تلاقي أحد العقود المتعامدة مع صف العقود سالف الذكر . وأن التصدع الحادث بهذا القسم كان نتيجة للعوامل الآتية :

أولا : بناء القبوات المصلبة بطريقة غير فنية لم يراع فيها مقاومة قوة الدفع التي لا بد من حدوثها من تأثير ثقل المصلبات وما يعلوها من الأتربة والرصاص .

ثانياً : ضعف مونة البناء وتحللها بمضي الزمن .

ثالثاً : فعل الزلازل قديماً وحديثاً وما تسبب عنه من حدوث حركة في المباني .

حدث هذا الخلل منذ سنين عولج في وقتها ببناء بعض دعائم ساندة لوقف تأثير قوة الدفع عند أرجل عقود المصلبات إلا أن ذلك لم

يجد كثيراً بدليل ظهور الشروخ والتفكك مرة أخرى سواء في المصلبات أو العقود .

ازاء هذه الحالة الخطيرة رؤي الاسراع في عمل صلبات خشبية لحمل بعض العقود المخلة ثم عمل دعامتين ساندتين إحداهما لسند العمود المائل آنف الذكر والأخرى لسند المباني المفككة وقد تمت هذه الصلبات على خير وجه وفي اقصر وقت ممكن وأصبح القسم الشرقي بذلك مأموناً وخصوصاً بعد إزالة ما كان يعلوه من أتربة .

أما الرواق الأوسط فالذي حدث به هو أن الأعمدة الحاملة لعقوده لم تقو على تحمل الضغط الواقع عليها لضعف مادة الحجر ثم لبناء هذه الأعمدة من مداميك قليلة الارتفاع وعدم التبسط بينها جيداً بالمونة مما أدى إلى حدوث شروخ وتكسر بها . ذلك ما حدث بالأعمدة ، أما المباني التي تعلو عقود هذا الرواق فقد تبين أن بالجزء الغربي منها ميلاً شديداً للخارج (جهة الغرب) بلغ حوالي عشرة سنتيمترات في المتر ، وأن المباني في هذا الجزء المائل مفككة ومونتها ضعيفة جداً وقد عولجت في وقت ما بسد فتحات الشبابيك العلوية تقوية لها . وكل — ما أمكن عمله تأميناً لها تأميناً مؤقتاً هو سقي لحامات المباني بمونة السمنت .

تلك هي الاعمال التحفظية التي عملت صيانة لسلامة المسجد إلى أن أعدّ مشروع الأصلاح وشرع في تنفيذه .

مشروع الاصلاح

عند التفكير في مشروع الاصلاح كان احب شيء إلينا ان نوفق إلى طريقة تمكننا من ترميم ما تصدع من المسجد دون الالتجاء إلى هدم أيّ جزء من أجزائه إلا أن الحالة كانت قد بلغت من الخطورة مبلغاً لم يمكن معه الترميم دون الهدم وإعادة البناء .

عندئذ أعددنا مشروع الاصلاح على هذا الأساس أي هدم القسم الشرقي والرواق الأوسط واعادة بنائهما .

وعند البحث في اعادة بناء القسم الشرقي وماهية النظام الواجب اتباعه كنا امام حالتين :

الأولى : اعادة بنائه طبقاً لما هو عليه أي قبوات مصلبة ترتكز عقودها على أكتاف مربعة القطاع في الرواقين الشرقيين وسقف مستو محمول على صفين من العقود المرتكزة على أعمدة أسطوانية في الرواق الثالث .

والثانية : اعادة بنائه طبقاً لتخطيطه الأصلي في العهدين العباسي والفاطمي أي صفوف من العقود محمولة على أعمدة أسطوانية تسير من الجنوب الى الشمال موازية للرواق الأوسط .

وقد استعرضنا المشروعين ورجح لدينا المشروع الثاني دون الأول — خصوصاً وأن القبوات المصلبة التي تغطي الرواقين الشرقيين عملت في عهد الصليبيين على نظام مغاير للتخطيط الأصلي للمسجد كما سبق بيانه.

ولما كان الرواق الأوسط ما زال قائماً منذ التجديد الفاطمي فقد رؤي هدمه واعادة بنائه كما هو مع ابدال الحمالون الخشبي المغطي له بآخر من الحديد الصلب .

تفاصيل المشروع

روعي في اعداد المقايسة الابتدائية لمشروع الاصلاح الانتفاع بقدر الامكان بجميع مواد البناء الصالحة للاستعمال. فالأحجار المتخلفة من الهدم استخدم الكثير منها في الأساسات والأخشاب الصالحة ادخلت في عمل الجملونات التي تغطي سقف القسم الشرقي وفي تطبيق أعلى جمالون الرواق الاوسط كما اعيد استعمال الرصاص القديم في تغطية هذه الجمالونات بعد تسييحه وتنقيته من المواد الغريبة وإعادة سبكه .

وقد استعيض عن الأعمدة الحجرية بأعمدة رخامية استوردت من إيطاليا ودقت تيجانها وقواعدها طبقاً لرسوماتها القديمة بالقدس بواسطة عمال فلسطينيين يجيدون هـذه الصناعة واستبدل بالأوتار الخشبية التي كانت تربط أرجل العقود بعضها ببعض اخرى من الحديد كسيت بالخشب . هذا والحجر الذي استخدم في البناء أو في تبليط الأرضيات استخرج من محاجر فلسطين وهو حجر أبيض اللون شديد الصلابة يعرف (بمزي حلو) .

أما سقف القسم الشرقي فعمل من الخرسانة المسلحة على هيئة « قصع » نصف كروية تحيط بها أشكال هندسية وقد اختير هـذا النوع من الأسقف لمماثلته للسقف الذي يغطي محراب زكريا والذي نرجح انه من عمل الناصر محمد بن قلاوون ولأنه من ناحية اخرى لم يمكن الاستدلال على ما كان عليه هذا القسم على عهد الفاطميين .

تنفيذ المشروع

عهد المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس إلى إحدى الشركات بهدم ما تقرر هدمه مع المحافظة التامة على باقي اجزاء المسجد ثم عهد إلى شركة اخرى بأعمال البناء وإقامة الأعمدة الرخامية والخرسانة وتبليط

الأرضيات وعمل الجالون الحديدي المغطي للرواق الأوسط وتركيبه كما عهد إلى صناع مصريين ببياض سقف القسم الشرقي وعمل الشبابيك الجصية المفرغة والمحلاة بالزجاج الملون واستغرق هذا العمل حوالي السنتين . وفي صيف عام ١٩٤٣ تم ترميم القسمين الأوسط والشرقي من الواجهة الشمالية بأن استبدل بأحجارها المتآكلة والآيلة للسقوط أحجار جديدة مع احتفاظهما بتفاصيلهما العمارية القديمة دون تغيير أو تبديل.

وقد بلغت تكاليف هذا المشروع منذ البداية إلى الآن حوالي (٥٥٠٠٠) جنيه فلسطيني دفعها المجلس الاسلامي الأعلى من ميزانية الأوقاف العامة . وأعدت إدارة حفظ الآثار العربية هذا المشروع وقامت بالاشراف على تنفيذه من البداية للنهاية .

وقد كان الشروع في هذا العمل سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) والفراغ منه في سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) .

سقف الرواق الاوسط

كان يغطي هذا الرواق جملون من الخشب لا يحجبه من الداخل سقف افقي وكان بأسفله كمرات خشبية بطرف كل منها تجليد من قطع الخشب مختلفة الأطوار محفور عليها زخارف متنوعة يرجع طرازها

إلى القرن الثاني الهجري .وفي مشروع الاصلاح الأخير استعيض عن الجملون الخشبي بآخر من الحديد ترك مؤقتاً بغير سقف افقي يحجبه من الداخل إلى أن اعتمدت الحكومة المصرية مبلغ (١٠٠٠٠) جنيه لعمل هذا السقف الذي أعدّت له إدارة حفظ الآثار العربية مشروعاً راعت في تصميمه روح الزخارف الفاطمية زخارف ذلك العصر الذي جدد فيه المسجد تجديداً شاملا أدركنا الكثير من معالمه وقد قامت هذه الادارة بالاشراف على تنفيذه واشترك في عمله صناع من مصر يعاونهم آخرون من فلسطين واستخدم في نقشه وتذهيبه اوراق الذهب من عيار ٢١ قيراطاً كان لحكومة فلسطين والسفارة البريطانية بالقاهرة الفضل في الحصول عليه من انكلترا .

وكان الشروع في عمل هذا السقف والفراغ منه في سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه بمزيد الشكر وعظيم التقدير بتلك المساعدة القيمة التي أدّتها حكومة فلسطين لتسهيل تنفيذ هذا العمل الجليل فكانت لا تتوانى في تلبية ما يتطلبه العمل من حديد واسمنت وخشب في أوقات عزّ فيها الحصول على هذه المواد بالنسبة لظروف الحرب.

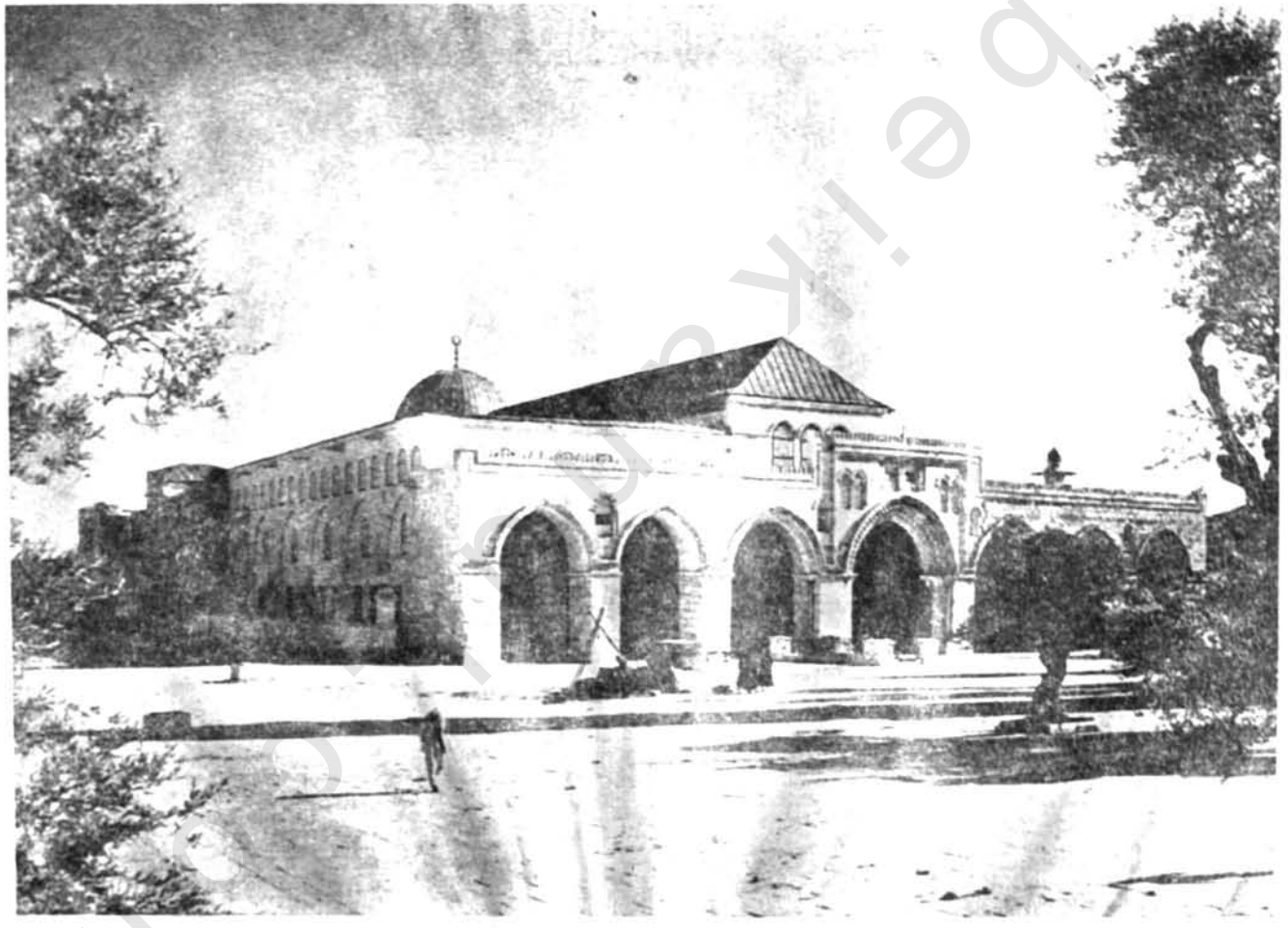

منظر عام للمسجد الاقصى المبارك بعد اصلاح الواجهة الشرقية منه وتجديد سقفه الخشبي

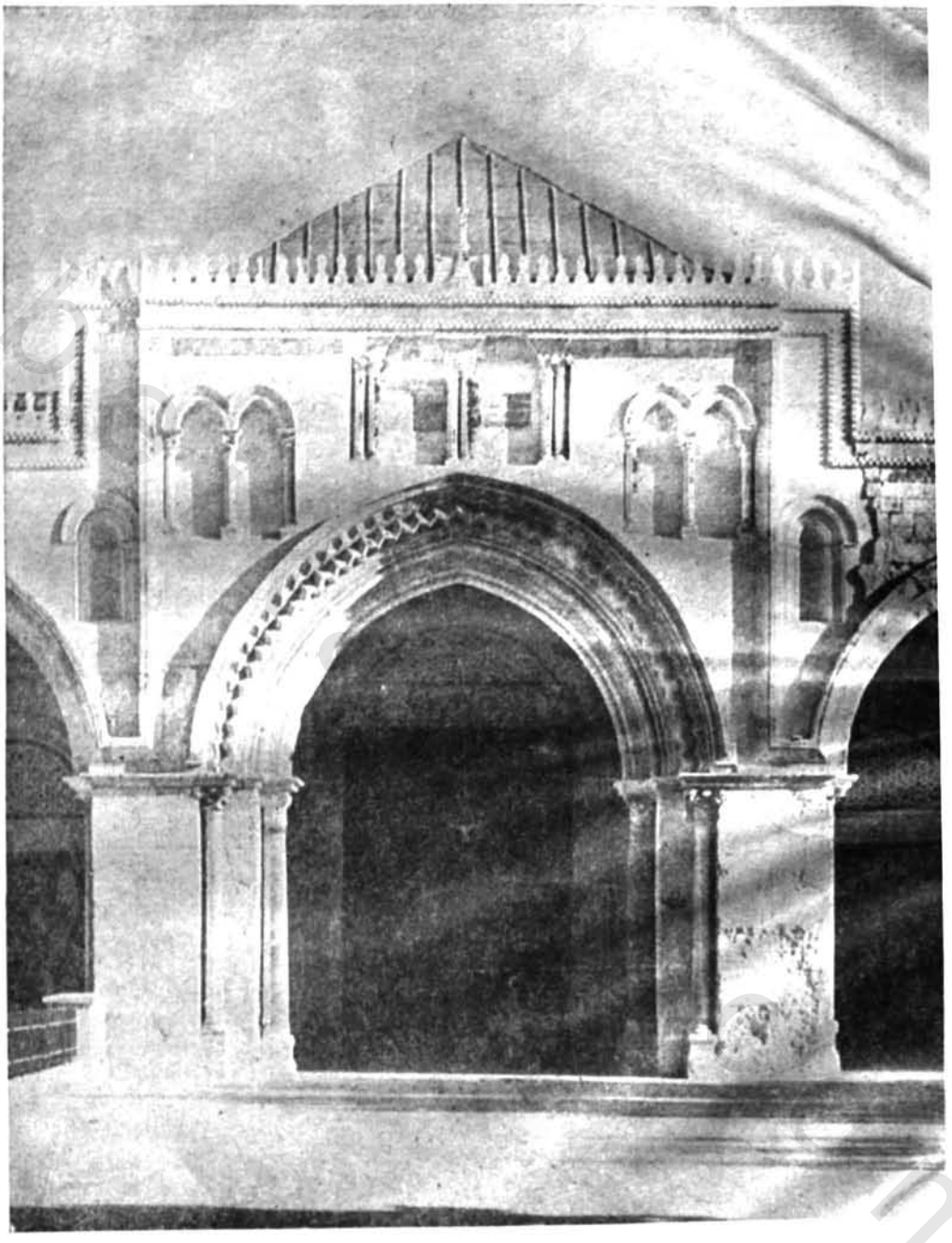

المدخل الرئيسى للمسجد الاقصى المبارك (مدخل الرواق الاوسط)

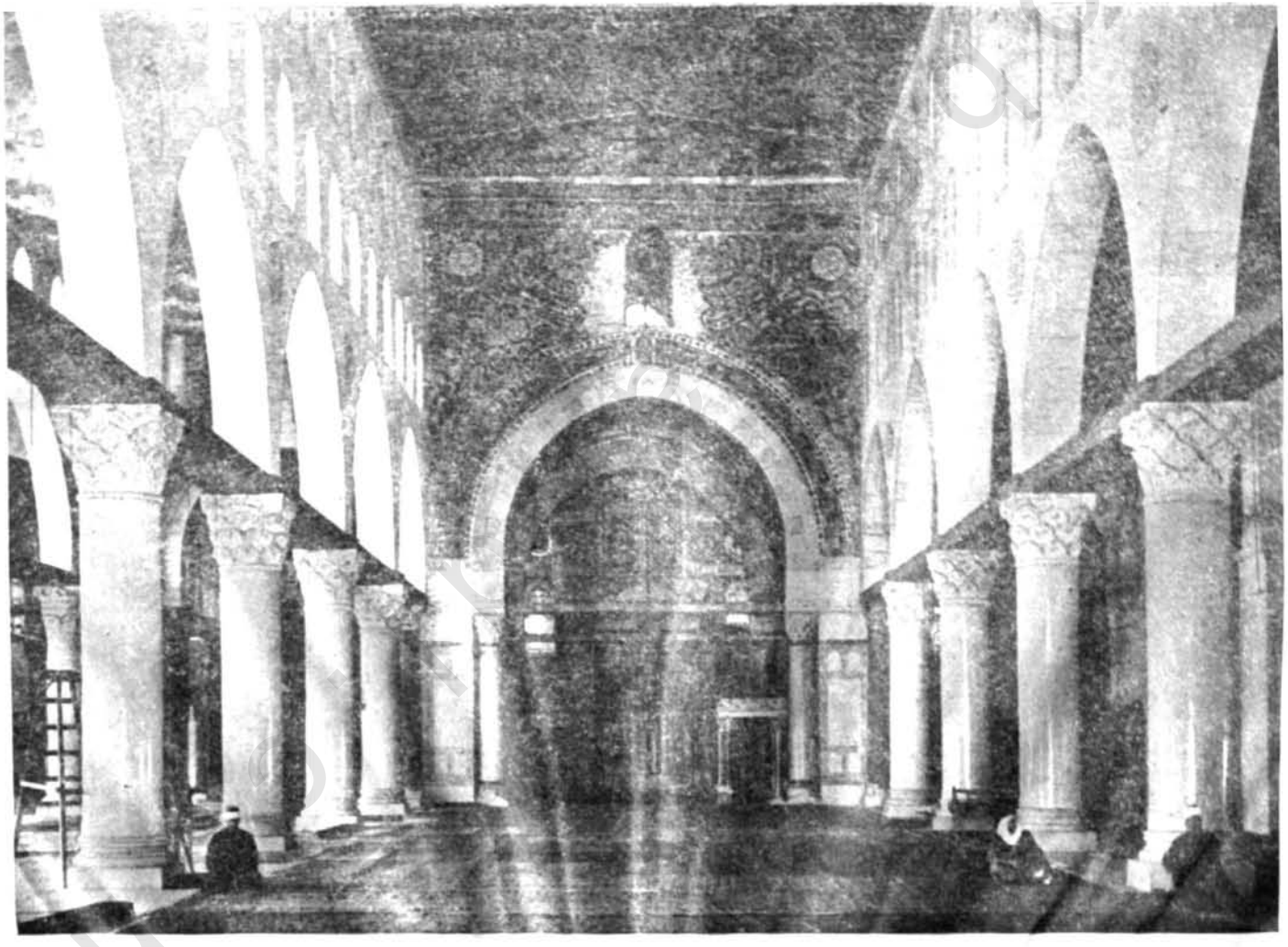

الرواق الاوسط بعد تمام السقف الخشبي المجدد وقبل الزخرفة

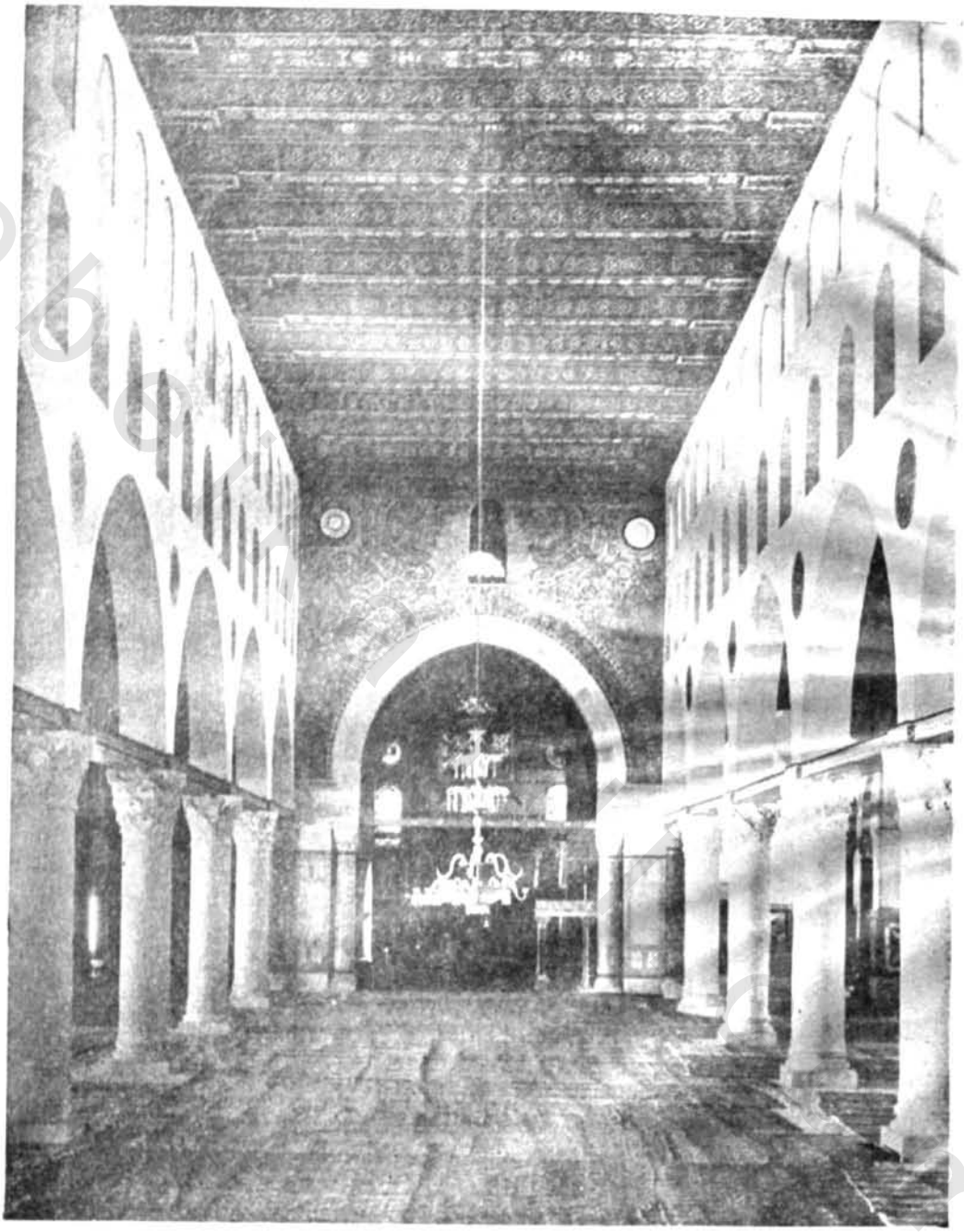

الرواق الأوسط في المسجد الاقصى المبارك بعد تجديده وتذهيب سقفه

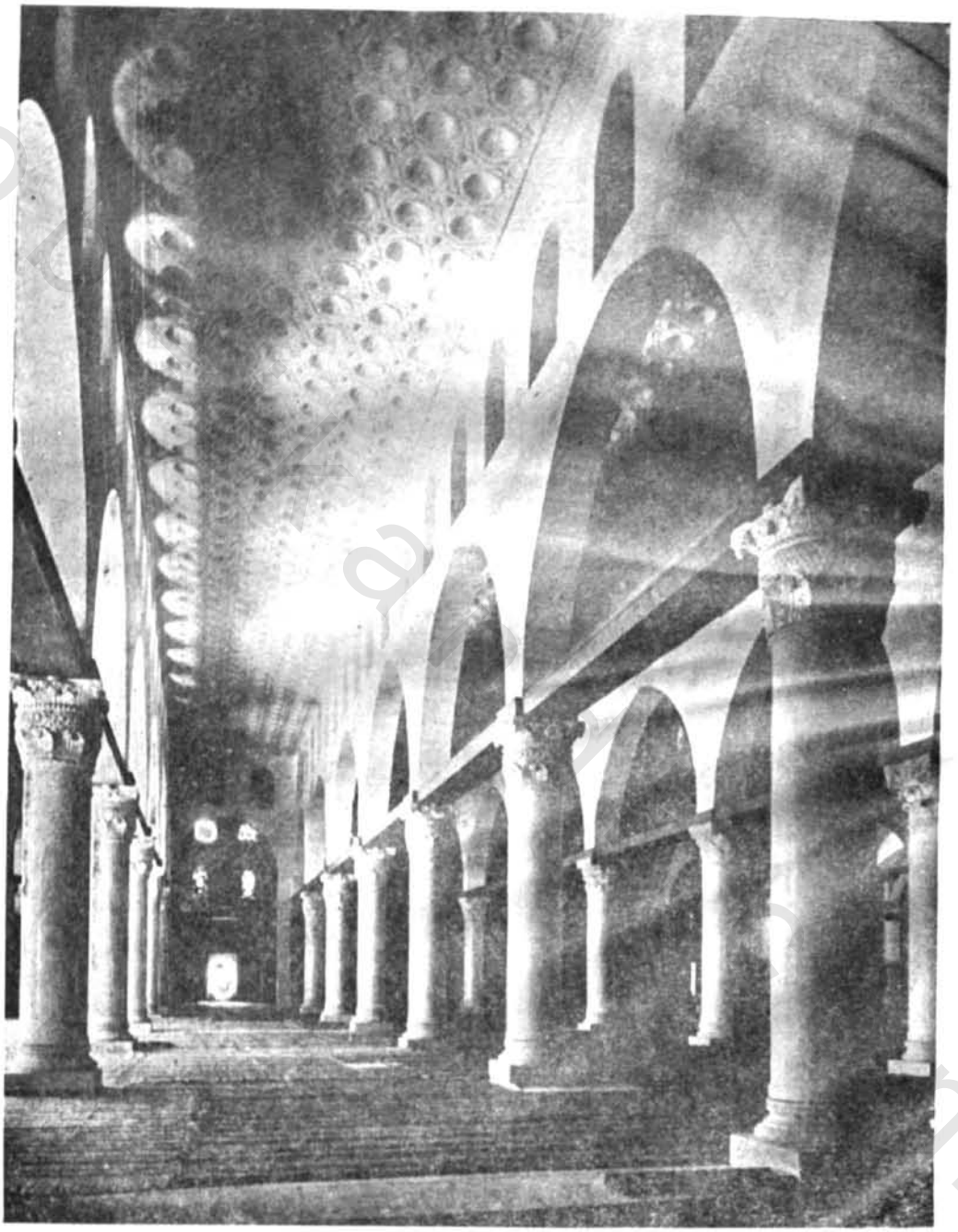

القسم الشرقي من المسجد الاقصى المبارك بعد تجديده

محراب المسجد الاقصى كما يظهر من نهاية الرواق الاوسط

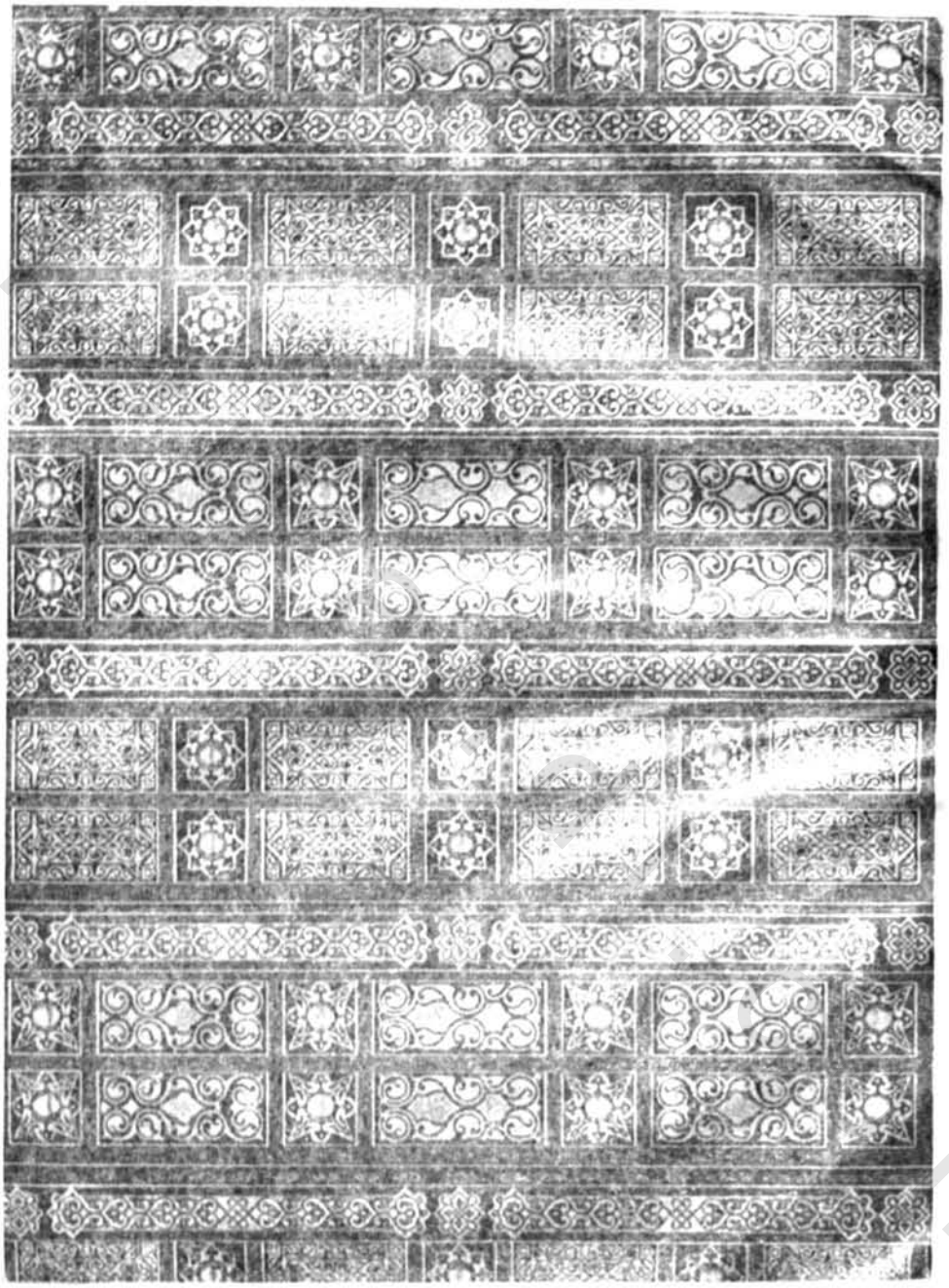

النقوش العربية الجميلة التي تزين سقف الرواق الاوسط بعد تجديده

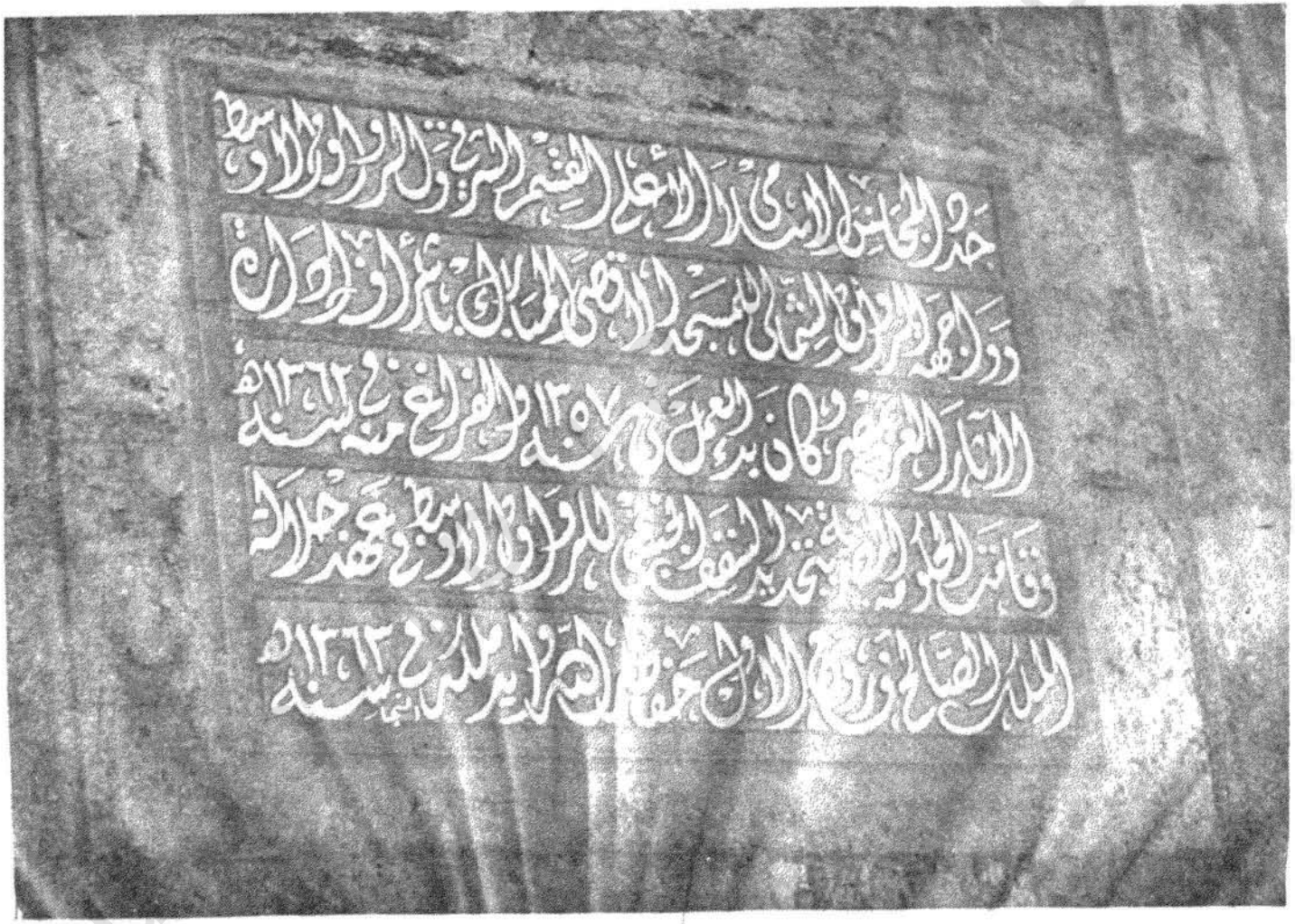

اللوحة التذكارية لأعمال الاصلاح (في مدخل الرواق الاوسط)